

• دريافت ۹۱/۰۳/۸

• تأييد ۹۱/۱۲/۲

## التناص القرآني في شعر حسان بن ثابت الأنصاري

الدكتور حجت رسولي\*

محمد ظهيري\*\*

مصطفى زرگاني\*\*\*

### الملخص

ظهر التناص كظاهرة نقدية على يد جوليا كريستيفا الناقدة البلغارية عام ١٩٦٦م و بانتشار هذا المنهج النقدي قد انتهت فكرة استقلال النصوص لأن هذا المنهج يعتمد على أن كل نص جديد متأثر بالنصوص القديمة . و حينما ورد في الأدب العربي قد أحدث دويماً عظيماً و لفت أنظار كثير من نقاد العرب و أصبح شغلهم الشاغل فاهتموا به و عالجه . كما نعلم أن الكتب المقدسة كان لها تأثير بالغ في المحاولات الأدبية لهذا نرى كثيراً من الأدباء و الشعراء و الكتاب تأثروا بهذه الكتب وخاصة القرآن الكريم في العالم الإسلامي . فبدأ هذا التأثير منذ بزوغ فجر الإسلام حتى يومنا هذا و ذلك لتزيين آثارهم الأدبية بهذه الخصال الحميدة حتى يخلدوها . اما حسان بن ثابت الأنصاري فعندما دخل الإسلام ، أصبح شاعر النبي (ص)، لهذا إستقى أدبه من القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) وأضاف إلى مفرداته و معانيه بعض المفردات الجديدة حيث نرى في طيات ديوانه يزين كلامه بهذه المضامين القرآنية و تتوزع ظواهر التناص مع القرآن الكريم عند شاعرنا على عدة المحاور التي تنم على إدراك حسان و استشرافه لمورثه الديني و نحن اخترنا من هذه المحاور الألفاظ والمضامين التي قد اقتبسها من القرآن لتطبيقها مع ظاهرة التناص .

### الكلمات الرئيسية:

القرآن ، الأدب العربي ، الشعر ، التناص ، حسان بن ثابت الأنصاري

\*الأستاذ المشارك في اللغة العربية و آدابها بجامعة الشهيد بهشتي

\*\* الماجستير في اللغة العربية و آدابها

m.zargani66@gmail.com

\*\*\* الماجستير في اللغة العربية و آدابها

## المقدمة

يُعدّ التناص (interextuality) من المصطلحات الوافدة من الغرب الذي تحدثت عنه البلغارية جوليا كريستيفا في كتابها « نص الرواية » عام ١٩٧٠م و المقصود من هذا المصطلح تولد نص واحد من نصوص متعددة ذا معنى جديد. و اما هذه الظاهرة النقدية قد وردت في الأدب العربي في القرن العشرين و أصبحت منهجاً من مناهج النقد العربي. فدون أدنى شك أن النقد العرب كانوا يعرفون هذه الظاهرة منذ عصور قديمة، لكن بأسماء تختلف عما تسمى اليوم بالتناص؛ مثل السرقات و المعارضات الشعرية و المنافسات و الاقتباس و التضمين و الإشارة و التلميح و التوليد. اما في بحثنا هذا فقد تناولنا التناص و للتناص أنواع عدة منها التاريخي و الإجتماعي و الأدبي و القرآني... وإلخ و من أبرزها التناص القرآني الذي استخدمه حسان في شعره الإسلامي و قد كشفنا عنه في عدة قصائد محاولين إظهار اثر القرآن الكريم في هذه القصائد عبر التناص الخارجي. فحسان بن ثابت الأنصاري كالشعراء الملتزمين استقى أدبه من ينبوع البلاغة و الفصاحة «كلام الله عزوجل» حتى استطاع أن يخلق شعراً ذا قيمة أخلاقية و دينية. فدراسة شعره و إظهار ما استخدم من مضامين و ألفاظ قرآنية بصفته شاعر الرسول (صلى الله عليه) من ناحية منهج التناص ذات أهمية كبيرة و لعلّ هذا المقال يأتي بالفائدة المرجوة.

## أسئلة البحث

- ١ - مدى تأثير حسان بن ثابت بالقرآن الكريم ؟
- ٢ - كيفية هذا التأثير لفظاً و مضموناً ؟

## سابقة البحث

يعدّ حسان بن ثابت في مقدمة الشخصيات التي استحوذت على تفكير العديد من الباحثين وخاصة من يقومون بدراسة النقد الأدبي. لأنّ لشعره ميزات

خاصة تناقش من قبل الباحثين و الناقدين مثلاً حسان شاعر مخضرم و شعره إسلامي جاهلي و هناك بون شاسع بين شعره الجاهلي و الإسلامي من حيث المضامين و التراكيب و حتى المفردات . الميزة التي أعطت حسان و شعره أهمية خاصة و لفتت أنظار الباحثين إليه هي أنه كان شاعر النبي لهذا يدرس شعره . و معظم الكتب التاريخية تناولت هذا البحث لكن بالاختصار مثل « تاريخ أدباء العرب » لبطرس البستاني كما يقول « في شعر حسان ألفاظ جديدة لم نألفها من قبل، كقوله: جبرئيل أمين الله ، روح القدس ، أرسلت عبداً ، فهذه الألفاظ وغيرها أحدث القرآن معانيه الجديدة في الإسلام.(البستاني، ١٩٧٩: ج ١، ٢٧٨) و أيضاً عمر فروخ في كتابه « تاريخ الأدب العربي » و الذي يقول فيه: «اكتسب شعر حسان في الإسلام كثيراً من العذوبة و الإخلاص و كثرت فيه التعبيرات الإسلامية و الاقتباس من القرآن الكريم(فروخ ، ١٩٨١: ج ١، ٣٢٦) و شوقي ضيف في كتابه « تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي » يقول: «وردت معان إسلامية في شعر حسان عندما أسلم و قد ميزت بين شعره الإسلامي و الجاهلي مثل جبرئيل أمين الله ، روح القدس، مستعصمين بحبل غير منجذم ، فينا الرسول »(ضيف ، ٢٠٠٤: ٨٢) و أيضاً مقالات عديدة كتبت حول حسان مثلاً « أثر الإسلام في أسلوبية حسان بن ثابت الأنصاري » لمحمد عبد المجيد أستاذ النقد في جامعة ملك سعود حيث استطاع الباحث من خلالها تجاوز معطيات المنهج النقدي الألسني الذي يعنى بالوصف دون الحكم ، ولا يتعدى بذلك شمولية النص الأدبي أو يبحث علاقاته البلاغية بعضها مع بعض، و إنما قام الباحث بالاعتماد على بيان العلاقات بين العناصر و الوظائف التي تكتنفها الظاهرة ، من خلال عرض أهم الظواهر اللغوية عند الشاعر و المتمثلة في : التقديم و التأخير ، و الحذف ، و الاعتراض و الفصل ، و التكرار بأنواعه، و سياقاتها الدلالية المختلفة و أيضاً كتبت مقالة بجامعة طهران على عنوان : «دراسة في التطور النبوي في قصيدة جاهلية و قصيدة إسلامية لحسان بن ثابت الأنصاري نظراً إلى المكتبة النبوية» الذي كتبها دكتور

غلامعباس رضائى، ومع كل هذه محاولات لم تكن دراسة تقوم بدراسة التنصص فى شعر حسان و هذه أول محاولة تتناول شعر حسان من هذه الناحية .

### منهج البحث

بداية تطرقنا إلى ظاهرة التنصص عند الأوربيين و العرب ثم تكلمنا عن حياة حسان بن ثابت و مكانته فى الشعر و بعده اخترنا أبياتاً من أشعار حسان بن ثابت الأنصارى قد ضمنت فى طياتها المفردات والمضامين القرآنية . ثم ذكرنا هذه الأبيات و بيّنا من خلالها المفردات و المضامين القرآنية و ماهية التنصص استعمل فيها. فقد كان منهجنا فى هذا البحث توصيفياً \_ تحليلياً.

### التنصص

مصطلح نقدى حديث ظهر فى ظلّ الاتجاهات النقدية الجديدة و يعنى أنّ العمل الأدبى يدرك فى علاقته بالأعمال الأخرى؛ فالأدب ينمو فى عالم ملىء بكلمات الآخرين. ف«التنصص INTERTEXTUALITY مصطلح نقدى يرادفه "التفاعل النصى" و"المتعاليات النصية" TRANSTEXTUALITY. و قد ولد هذا المصطلح "التنصص" على يد جوليا كريستيفا عام ١٩٦٦ التى استنبطته من باختين فى دراسته لدستويفسكى، حيث وضع باختين تعددية الأصوات "البوليفونية" والحوارية "الديالوج" دون أن يستخدم مصطلح التنصص. (عزام، ٢٠٠١: ٢٨) فمصطلح التنصص يمثل عندها «تقاطع نصوص و وحدات نصوص، فى نصّ، أو نصوص أخرى» و أصبح النص فى منظورها «لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، فكل نص يستقطب ما لا يحصى من النصوص، التى يعيدها عن طريق التحويل، والنفى، و الهدم و إعادة البناء». (واصل، ٢٠١١: ١٥) و أيضاً من الباحثين الغربيين الذين تناولوا هذا المصطلح بعد باختين و كريستيفا "فيليب سولرس" الذى يقوم تصوره لمفهوم التنصص على أنّه «كل نصّ يقع فى ملتقى مجموعة من النصوص بحيث يكون هو

الجامع بينها والمشكل لها و مكنتها و عمقها على السواء». (الحمداني، ٢٠٠١: ٦٧ - البقاعي ١٩٨٨: ٦٣) وقد شاب مفهوم هذا الاصطلاح شيء من الضبابية، ففي مرحلة من مراحل تطور البحث في مفهوم التناص فهم هذا المصطلح على أنه «مجرد تقاطع لعدد من النصوص والأساليب داخل نص واحد أو أنه إرجاع نص إلى مصادره الثقافية المعاصرة». (الحمداني، ٢٠٠١: ٦٩)؛ ولكن " ريفاتير " ميّز بين مصطلحي تقاطع النصوص و التناص فتقاطع النصوص يستدعي دراسة لتاريخ الموثرات الأدبية أو البحث عن المنابع و لهذا النوع من البحث هدف تفسيري لأنه يجيب على سؤال محدد و هو: كيف تكوّنت النصوص الأدبية؟ غير أن التناص « لا يتوجه نحو اكتشاف الأصول التاريخية لتلك النصوص السابقة، بل يتجه للحديث عن أدوارها في النصّ». (الحمداني ، ٢٠٠١: ٧١) فمن الممكن أن نقول إن التناص «تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحى الحدود بينها و أعدت صياغتها بشكل جديد بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها». (عزام، ٢٠٠١: ٢٩)

### التناص عند العرب

كما أشرنا سالفاً أن مصطلح التناص ليس لديه خلفية عريقة في الأدب العربي الحديث، بل ورد هذا الاصطلاح جديداً في الأدب العربي ولكن قد أولى نقاد العرب القدامى بمفهوم التناص أو التدخل النصي عنايتهم و عالجه؛ لا بتسميتها المعاصرة و إنما بتسميات أخرى كالموازنة و المناضلة و الوساطة و التضمين و الاقتباس و الاستشهاد و السرقات و المعارضات و النقائص. (عزام، ٢٠٠١: ١٢) منذ ورود مصطلح التناص في الأدب العربي ، تشتت الآراء حول تسميته و تعريبه فلم يتفق عليه العرب المعاصرون بعد، على تعريب مصطلح التناص INTERTEXTALIE. فبعضهم يعرّب " التناص " و آخرون " التناصية " و فريق ثالث بـ " النصوصية " و رابع بـ " تداخل النصوص "؛ مع

ذلك فإنّ المصطلح الأول " التناص " هو الذي شاع وانتشر(عزام ، ٢٠٠١: ٤٠)؛ على أن نقاد الأدب العربي قد اختلفوا في مفهوم مصطلح التناص. هنا نعدّد عدة تعاريف لها؛ فالتناص «تشكيل نصّ جديد من نصوص سابقة أو معاصرة و هو خلاصة لعدد منها قد أعدّت صياغتها بشكل جديد و لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها(عزام ، ٢٠٠١: ٢٩)؛ فيعرف محمد الفتاح التناص بأنه: "تعالق ( الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة». ( فتاح، ١٩٩٥: ١٢١) أمّا الدكتور محمد بنيس فيقترح صياغة جديدة لمصطلح التناص حيث يسمّيه (النص الغائب) و يرى أن النص الشعري هو بنية لغوية متميزة ليست منفصلة عن العلاقات الخارجية بالنصوص الأخرى؛ و هذه النصوص الأخرى ما يسميها بنص الغائب و يرى أن النص كشبكة تلتقى فيها عدة نصوص و هي نصوص لا تقف عند حدّ النص الشعري بالضرورة لأنها حصيلة نصوص يصعب تحديدها، إذ يختلط فيها الحديث بالقديم، والعام بالأدب، واليوم بالخاص، والذات بالموضوع.( بينس، ١٩٧٩: ٢٥١) و يقترب رأى ابراهيم الرماني من رأى محمد بينس السابق لتعريف مصطلح التناص حيث عرفه بأنه «مجموعة النصوص المستمرة التي يحتويها النص الشعري في بنيته و تعمل بشكل باطني عضوي على تحقيق هذا النص وتشكل دلالاته». (رماني، ١٩٨٨: مجلة عدد ٤٨)

فالتناص أداة تعبيرية، و رؤية إبداعية، و فعالية إجرائية، وآلية إنتاجية، و خاصة بنائية قائمة في أساسها على تعايش النصوص و تعالقتها ضمن فاعلية فنية و حساسية شعرية قادرة على التداخل مع الآخر و التفاعل معه وفقاً لجدلية الإزاحة و الإحلال التي تتوخى استدعاء تجارب و أفكار متباينة و امتصاصها و إعادة صياغتها ضمن رؤية فنية تتجاوب مع تجارب المبدع و انفعالاته، و تكشف عن طاقات تأويلية متجددة تحقق الفعل التواصل بين الذاتي و الموضوعي الذي يقضى على أحادية المعنى و نهائية الدلالة. (صرصور، ٢٠٠٩: مجلة عدد ٢)

## قسم نقاد الأدب العربي التناص إلى قسمين:

التناص الداخلي : فالتناص الداخلي هو حوار يتجلى في توالد النص و تناقش فيه : الكلمات المفاتيح او المحاور والجمل المنطلقات والأهداف والحوارات المباشرة و غير المباشرة فهو إعادة انتاج سابق في حدود من الحرية.

أما التناص الخارجي: فهو حوار بين نص و نصوص أخرى متعددة المصادر و الوظائف و المستويات. (عزام ٢٠٠١: ٣١) و في الواقع إن استشفاف التناص الخارجي في النص عملية ليست بالسهلة وخاصة إذا كان النص مبنيا بصفة حاذقة.

و بما أن حسان بن ثابت استخدم في شعره الآيات القرآنية و بنى نصه الشعري عليها ، قد استخرجنا في هذا البحث المفردات و المضامين القرآنية الذي يسمّى عند النقاد العرب بالتناص الخارجي، « ويعرف التناص مع المصادر الدينية عادة بالاقْتِباس، فالاقْتِباس يدخل دائرة التناص و يشكل رافداً مهماً و أساسياً من روافده». (البادي، ٢٠٠٨: ٣٩)

## حسان بن ثابت الأنصاري

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار من بني النجار من قبيلة الخزرج ، ينتهي نسبه الى قحطان ( الإصفهاني، ج٤، ١٤١؛ البستاني، ١٩٧٩: ٢٧٢) و كان أبوه ثابت بن المنذر من سادة قومه و أشرفهم و كانت أمه ( الفريرة ) خزرجية مثل أبيه ( ضيف ، ٢٠٠٩: ٧٧). كان حسان في الجاهلية يمدح الملوك و المناذرة و الغساسنة و يرحل إليهم فينال منهم جزيل العطايا ، و أكثر من كان يمدحهم و يكثر انتجاعهم آل جفنة من ملوك غسان. ( الاسكندري : ١٩١٩ : ١٣٠) و هو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام ( الدينوري، ١٩٤٥ : ٢٩٦) و عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى يثرب ، دخل حسان في الإسلام وأصبح

شاعر النبي و إذا أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول و صحبه من المسلمين انبرى لهم بلاذع هجائه. ( ضيف، ٢٠٠٩ : ٧٧ ) و أسن حسان كثيراً ثم عمى في أواخر أيامه و توفي سنة ٥٤ هـ ، ٦٧٤ م. ( فروخ ، ١٩٨١ : ٣٢٥ - ٣٢٦ )

#### مكانة حسان بن ثابت

كان لحياة حسان بن ثابت في الجاهلية والإسلام أكبر الأثر في شعره ، و لا نريد أن نزيد في المنقول عنه و لكن نكتفي بذكر بعض الآراء لأئمة اللغة و الشعراء التي قيلت حول حسان في الكتب التاريخية ؛ يقول أبو عبيدة : فَضَلَ حسان الشعراء بثلاث ، كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، و شاعر الرسول صلى عليه و سلم في النبوة و شاعر اليمن كلها في الإسلام (البرقوقي ، ٢٠٠٤ : ١٧ ) و قال الاصمعي : حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره. و قال الحطية: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول:

يَعشَوْنَ حَتَّى ما تَهَرُّ كلابُهُمْ  
لا تسألونَ عَن السَّوادِ المُقبِلِ  
و قال ابو عمرو بن العلاء : حسان أشعر أهل الحضرة ، و قال ابو الفرج الإصفهاني : حسان فحل من فحول الشعراء و قد سمع النابغة الذبياني شعر حسان فقال له : إنك لشاعرٌ. ( البستاني : ١٩٧٩ : ٢٨٠ - ٢٨١ )

و مع كل هذه الآراء التي قيلت من أئمة اللغة و الشعراء نجد أقوى الآراء كانت من خير البشر رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم ، فقد اختاره ليكون شاعره ، و ليكون لسان الإسلام والمسلمين وهذه شهادة في حد ذاتها لا تعادلها شهادة ، بل إن رسول الله (ص) كان يدعو له بالتأييد من السماء فقال عليه الصلاة و السلام: اللهم أيده بروح القدس ، فأى حكم على حسان بعد ذلك. (ضيف ، ٢٠٠٩ : ٧ )

و قال النبي (ص) أيضاً : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء في النار و حسان بن ثابت يقود جموعهم إلى الجنة.



## مظاهر التناص القرآني في شعر حسان بن ثابت الأنصاري

إذا تورقنا ديوان حسان بن ثابت الأنصاري نرى في هذا الديوان نوعين من الشعر: الجاهلي والإسلامي وإن قال بعض النقاد كالأصمعي: إنه ضَعُفُ خيال حسان في الإسلام وشعره الجاهلي أقوى خيلاً. (البستاني، ١٩٧٩: ٢٧٩)، لكن إذا دققنا في شعره الإسلامي نرى قد ازدادت ملكته اللغوية وأظهرت في أشعاره مفردات ذات معانٍ ومضامين جديدة وحسان كان يريد بهذه الوسيلة أن يؤثر تأثيراً بالغاً في مخاطبه. لهذا لجأ إلى القرآن لكي يستفيد من مفرداته ومضامينه لإنشاد شعره الذي كان ينصر به النبي (ص) على الكفار لهذا ولد شعر جديد لحسان ذو صبغة دينية وهذه العملية اسمها في النقد الحديث (التناص) ونحن أردنا أن نناقش هذا البحث من جانبين: جانب اللفظ وجانب المضمون.

## المفردات والألفاظ القرآنية

يعتبر استعمال المفردات والألفاظ القرآنية أحد أشكال التناص القرآني في شعر حسان بن ثابت الأنصاري. فهنا نشير إلى بعض هذه المفردات التي ألهمها الشاعر من القرآن.

قال حسان بن ثابت الأنصاري يمدح النبي في قصيدته الدالية:

فَأَمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا      يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهْنَدُّ  
(ديوان حسان، ٢٠٠٤: ٨٥)

في هذا البيت يمدح الشاعر رسول الإسلام (ص) ويصفه بسراج مستنير، يكون دليل القوم في الظلمات وبهذا الوصف الرائع ينتقل ذهن القارئ إلى هذه الآية الشريفة من سورة الأحزاب إذ قال تعالى [وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا] (الأحزاب، ٤٦) ونرى أن حسان قد استخدم الآية بنفس الألفاظ في هذا البيت من شعره وأراد أن يبين عظمة رسول الله (ص) وكرامته وعندما ندقق في هذا البيت نرى عملية التناص واضحة لأن الشاعر استخدم نفس الآية

و ألفاظها و الذي ما كان يستخدمه من قبل .

و أيضاً في نفس هذه القصيدة :

وَأَنْذَرْنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةً  
وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ

(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٨٥)

فنرى هنا أيضاً أن الشاعر قد استخدم المفردات القرآنية في بيته هذا كـ "انذار، ناراً، بشر، جنة" و حينما تواجه هذا البيت سينتقل ذهنك إلى قول الله تبارك و تعالی [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] (آل عمران: ٢١) و أيضاً هذه الآية [وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.] (البقرة: ٢٥) فقد استحوذت هذه المفردات القرآنية على ذهنه فأتى بها في هذا البيت بصورة مباشرة دون أيّ تغيير.

و أيضاً يقول:

لَكَ الْخَلْقُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ  
فَأِيَّاكَ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

(ديوان حسان، ٢٠٠٤ : ٨٦)

في هذا البيت حسان يخاطب رب العالمين مباشرة و يحمده على أنه أرسل لهم بشراً صالحاً لكي يهديهم إلى طريق الصواب و من ثمّ يستعمل الألفاظ و المفردات القرآنية و نرى استخدامه لهذه المفردات تعطي أشعاره حلاوة و زينة تميزه عن سائر الشعراء الذين عاصروه و نرى أيضاً أن الشاعر أتى بنصّ الغائب (القرآن) ثم يرتد منه إلى خطاب الحاضر (الشعر). و هذه نفس ظاهرة التناص الذي تدل على هذه الآية الكريمة [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] (حمد: ٥).

و في بيت آخر:

تَرَكَانَهُمْ لِلْعَاوِيَاتِ تَتُوبُهُمْ  
وَ يَصَلُونَ نَارًا بَعْدُ حَامِيَةَ الْقَعْرِ

(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ١٥٠)

يرسم الشاعر هنا لمخاطبه صورة من معركة بدر التي انتصر المسلمون على

الكفار و بقيت أجساد الكفار على الثرى مطروحة و يعبر عن مصيرهم باستخدام المفردات القرآنية التي ضمنها من الآية الشريفة قوله تعالى [نَارٌ حَامِيَةٌ] ( القارعة : ١١ )

وتمثل أيضاً ظاهرة التناص في البيت التالي:

وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَأَقْعُ

(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ١٩٢)

بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر نرى الشاعر ينشد عينيته و يريد أن يبين عظمة الله الذي أعانهم في هذه الحرب و انتصروا على الكفار. لهذا لجأ إلى قول الله تعالى في سورة آل عمران الشريفة [وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] ( آل عمران : ١٨٩ )

و قال الشاعر في قصيدته التي أنشدها في يوم أحد في هجو قريش خصوم النبي صلى الله عليه و آله وسلم :

وَقَتْلَكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعَا فِي جَوْفِهَا وَ ضَرِيْعُ

(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ١٩٥)

إن الشاعر يخاطب المشركين بخطاب قرآني و إن كان هذا الخطاب عبر الشعر و يذكرهم بهذه الآية الشريفة من سورة الغاشية قوله تعالى :[لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ لَّا يُسْمِنُ وَ لَّا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ] (الغاشية : ٦٧) و نرى أن الشاعر أخذ نفس هذا الإنذار لعاقبة المشركين و أيضاً نفس المفردات ( حميم و ضريع ) بصورة مباشرة من القرآن الكريم .

و أيضاً قال :

وَ أَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ صَغَارًا وَ تَابَعُوا فَأَوْلَى لَكُمْ أَوْلَى حُدَاةَ الزَّوَامِلِ

(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٢٣٠)

في هذا البيت يستخف حسان المشركين و يحط من شأنهم و يهددهم بهذا الإنذار القرآني فنراه يستخدم نفس المفردات القرآنية بنفس المعنى فيشير الشاعر إلى سورة القيامة قوله تعالى [أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى] (القيامة : ٣٤ و٣٥).

## المضامين و المفاهيم القرآنية

أما الموضوع الثاني الذي نريد أن نناقشه هو المضمون القرآني الذي تبلور في شعر حسان بن ثابت الأنصاري و كان له نصيبٌ كبيرٌ في أشعاره الإسلامية . فالشاعر يستدعي ألفاظ الآيات القرآنية بمضمونها الفكري و يوظفها في إطار بنائي مطابق للنص القرآني من ناحية المضمون و ذلك كما يلي:

يُنشِدُ حسان:

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الْهُدَى      حَرِيصٌ عَلَيَّ أَنْ يَسْتَفِيمُوا وَيَهْتَدُوا  
(ديوان حسان، ٢٠٠٤ : ٩٣)

إن الشاعر عمد إلى إدخال ألفاظ " عزيز، الهدى، حريص " و هو بهذا البيت يعني: إن الرسول صلى الله عليه وآله و سلم قد يعاني من كفر المشركين فيستند بهذه الآية الشريفة قوله تعالى [ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ] ( التوبة : ١٢٨ ) موقف ايجابي قوي يتمخض عنه الإجلال و التقدير للرسول عليه الصلوة والسلام و شهادة الله تعالى بأن النبي كان حريصاً على هداية الناس و إرشادهم و نلاحظ لولا استطلاع الشاعر عن آي القرآن الكريم لما استطاع أن يأتي بهذا البيت الجميل الذي مضمونه مأخوذ بصورة غير مباشرة من الآية الكريمة. و هنا تصح نظرية التناص بأن كل نص جديد يولد من نص قديم .

أنشد حسان :

فَقَالُوا عَلَيَّ خَطُّ النَّبِيِّ فَأَصْبَحُوا      أَنَا مَيَّ بِنَعْلِي بَغْضَةً وَقِرَافٍ  
( ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٢٠٧ )

يشير هذا البيت إلى أن الكفار قد نسبوا كذبة على الرسول (ص) فنرى أن حسان أتى بهذا البيت بصورة طريفة، يرمز إلى الآية الشريفة بصورة غير مباشرة قلما تتبادر إلى ذهن القارئ ، هي قوله تعالى [وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ] (الحاقة : ٤٤) فهذه الآية تشير إلى أن الله تبارك تعالى يوجه خطابه إلى المشركين بأن النبي إذا نسب علينا بعض الأكاذيب نأخذ بناصيته و نعدبه

فكيف أنتم تقولون على الله ورسوله قولاً باطلاً فتتجلى في هذا البيت فاعلية التناص الشعري لبعض المعاني القرآنية و الشاعر أراد أن يبين مصير الذين ينسبون الكذب على النبي (ص) و لهذا استند بهذه الآية.

و في قصيدته التي يصف بها الرسول(ص) يقول :

وَأَنَّ أَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ يَعْدُلُونَهُ  
يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ فِيهِمْ فَيَعْدِلُ

(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٢٣٢ )

قد أشار الشاعر في هذا البيت إلى أن النبي محمد (ص) رسول من الله عز وجل قد بعث لهداية الناس و يحكم بينهم بالعدل و يقوم شعائر الله، يصف حسان النبي (ص) فيقول: و رغم ملامة الكفار فإنه لم يكف عن إبلاغ رسالته، و استخدام الشاعر لفظة أخا الأحقاف التي تنقل افكارنا واذهاننا الى الآية المباركة [ واذكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ] (الأحقاف : ٢١) ويشير هذا البيت إلى أن الرسول حريص على هداية الناس كما كان نبي هود حريص على هداية قومه فاستشهد في بيته بهذا المضمون القرآني .

و في بيت آخر يقول حسان:

وَكَمْ رَدَدْنَا بِيَدِ دُونِ مَا طَلَبُوا  
أَهْلَ النَّفَاقِ وَفِينَا أَنْزَلَ الظُّفْرُ

(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ١٥٨)

يبين لنا هذا البيت أن المسلمين قد انتصروا في معركة بدر على الكفار انتصاراً باهراً لكن كان الكفار أكثر عدّة وعدداً و هنا يتبادر إلى الذهن هذا السؤال و هو: من أعان المسلمين في هذه الحرب حتى انتصروا على المشركين ؟ يبين حسان أن الله تعالى كان سبب انتصار المسلمين في هذه الحرب و حينما يقول (فيينا أنزل الظفر) يرمز بصورة غيره مباشرة إلى مضمون الآية الكريمة قوله تعالى [ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ] (ال عمران : ١٢٣) و أتى بهذا المضمون بشكل غير ملموس فهنا يبدو لنا أن المضمون الذي كان مكنونا في ثنايا هذا البيت قد ولد من مضمون الآية

الشريفة كما بينا سالفاً و هو إنَّ الله نصر المسلمين أمام المشركين في هذه الحرب .

أنشد حسان قائلاً:

مُسْتَعَصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِدِمٍ      مُسْتَحَكِمٍ مِنْ حَبَالِ اللَّهِ مَمْدُودِ  
(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٨٦)

هنا أيضاً يصف حسان المسلمين بمعركة بدر و يقول إنَّهم يد واحدة لن يتشتتوا أبداً وقد يوحى إلينا هذا البيت أن مضمونه مقتبس من القرآن الكريم فيذكرنا بالآية الشريفة [ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ] (آل عمران : ١٠٣) فقد استعان الشاعر هنا بمضمون هذه الآية الكريمة لكي يبين وحدة المسلمين و إخلاصهم في أوان بزوغ شمس الإسلام و عدم تشتتهم مهما كان الأمر .

وينشد في بيتاً آخر:

بِهَيُوبٍ مُعَصِفَةٍ تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ      وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ  
(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٤٤)

يشير لنا هذا البيت بأن في حرب الخندق (الاحزاب) قد هبت على الكفار الرياح وشتت شملهم وهربوا من ساحة القتال وقد أتى حسان بن ثابت بهذا البيت بشكل رائع و نص " جنود ربك " قد يوحى إلينا أن حسان قد اقتبس هذا المضمون من الآية الشريفة قوله تعالى [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ] (الاحزاب : ٩) ونرى أن الشاعر استطاع بملكته الشعرية يضمن هذا المضمون في بيته لكي يرسم هذه الفكرة من جديد في ذهن مخاطبه و يوتر فيه تأثيراً بالغاً لكي لا ينسى رحمة الله .

قال حسان بن ثابت:

رَوُوفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا  
أَخِي ثِقَّةٌ فِي النَّائِبَاتِ نَجِيبِ  
(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٤١)

يصف حسان بن ثابت في هذا البيت الرجل الصالح الذي في معاملته بلاطف الأقربين ويشدد في معاملته مع خصومه فقول حسان «رؤوف على الأدنى غليظ على العدا» يقرب الذهن إلى هذه الآية الشريفة [ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيِّمَاهُم فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاتِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ] (الفتح: ٢٩) فنرى أن حسان قد رمز في قوله إلى هذه الآية فاقتبس المضمون منها فاستخدمه في بيته بصورة غير مباشرة بل بعد تحر وتفحص يتبين هذا الأمر و أراد حسان أن يؤكد على أن أصحاب النبي تتصف بهذه المحاسن. لذا ضمن بيته بمضمون هذه الآية الشريفة لكي يعزز فكرته .

قال أيضاً:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ  
حِينَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ فِي الْأُفُقِ  
(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٢١٤)

تتجلى في هذا البيت بعض المضامين القرآنية قد صاغها الشاعر صياغة جديدة ومن الصعب أن تتبادر هذه المضامين القرآنية إلى ذهن القارئ مثلاً في قوله «حين الملائكة الابرار في الأفق» يقصد من هذه الجملة يوم القيامة فيشير هذا البيت إلى هذه الآية [الملكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ] (الحاقة: ١٧) وفي هذا البيت يرمز حسان إلى يوم الحشر بشكل رائع فيستمد من المضمون القرآني لكي يعبر عن فكرته.

وينشد حسان قائلاً:

وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالٌ قَوْمٍ تَسْفَهُوا  
عَمَىٰ وَهْدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِ  
(ديوان حسان ، ٢٠٠٤ : ٩٠)

في هذا البيت يخاطب حسان المشركين الذين بعد أن نزلت عليهم رحمة الله ( الهداية) رفضوها وبقوا في ضلالتهم و جهلهم. لهذا أراد أن ينبههم فأتى بهذا البيت الذي مضمونه مقتبسٌ من هذه الآية الشريفة قوله تعالى [هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ] (الرعد، ١٦) وهو أراد أن يحث المشركين على طاعة الله و قبول الاسلام و أيضاً تنذيرهم لهذا ضمن بيته بهذه الآية الشريفة.

وقال أيضاً:

يا أيُّها النَّاسُ أبدو ذاتَ أنفسِكُمْ      لا يَسْتَوِي الصِّدْقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ

(ديوان حسان، ٢٠٠٤: ٥٠)

قد خاطب حسان بن ثابت في هذا البيت الناسَ أن يُعلنوا ما في انفسهم وأن لا يكتموا وحينما استعمل عبارة «أبدو ذات أنفسكم لا يستوي الصدق عند الله والكذب» قد يتبادر إلى ذهننا أن قصده من هذه الجملة هو قول رب العالمين [ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ] (المائدة: ٩٩) فقد أشار ببيته هذا خاصة (أبدو ذات انفسكم ) فيه إشارة خفية إلى مضمون هذه الآية المباركة.

### النتيجة

أما النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي:

- لم تكن ظاهرة التناص غير مألوفة عند نقاد العرب المتقدمين و كان يعرفونها بأسماءها المختلفة مثل: الاقتباس و السرقات و المعارضات و إلخ.
- كان حسان في بدايات إسلامه و قد دخل في مرحلة جديدة من حياته الأدبية، فلهذا غلبت الفكرة الجديدة على وجوده و لسانه و مزج شعره بأى القرآن الكريم و استمدَّ أدبه من هذا المنهل العذب و ابتعد عن شعره الجاهلي.
- قد استخدم حسان التناص الخارجي في شعره، لأنَّه امتص اللفظ والمضمون من القرآن الكريم.



- يعرف التناص مع المصادر الدينية عادة بالاعتباس، فالاعتباس يدخل دائرة التناص و يشكل رافداً مهماً و أساسياً من روافده.
- أصبحت ظاهرة التناص واضحة المعالم في شعر حسان لأنه قد مزج شعره بالقرآن الكريم من ناحية اللفظ و المضمون و أنتج شعراً جديداً ذا معانٍ جديدة مغايرة لشعره الجاهلي.

### المراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإسكندري، الشيخ أحمد والشيخ مصطفى عناني، (١٩١٩) «الوسيط في الأدب العربي وتاريخه» القاهرة: دار مارون.
٣. البادي، حصّة عبدالله سعيد؛ (٢٠٠٨م) التناص في الشعر العربي الحديث، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.
٤. البستاني، بطرس (١٩٧٩)، «ادباء العرب في الجاهلية و صدر الاسلام»، بيروت، دار الجيل.
٥. البرقوقي، عبد الرحمن (٢٠٠٤)، «شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري»، بيروت، دار الكتاب العربي.
٦. البقاعي، محمد خير (١٩٩٨)، «دراسات في النص و التناصية»، حمص، دار المعارف.
٧. بنيس، محمد (١٩٧٩)، «ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب-مقاربة بنيوية تكوينية»، بيروت دار العودة.
٨. الحمداني، حميد (٢٠٠١)، «التناص و انتاجية المعاني» (علامات في النقد و الادب) القاهرة: دار النهضة.
٩. الدينوري، ابن قتيبة (١٩٣٢)، «الشعر والشعراء» القاهرة: دار الحديث.
١٠. ضيف، شوقي (٢٠٠٤)، «تاريخ الأدب العربي» (العصر الجاهلي)، القاهرة: دار المعارف.
١١. فتّاح، محمد (١٩٩٥)، «تحليل الخطاب الشعري» (استراتيجية التناص)، مغرب، دار البيضاء .
١٢. فروخ، عمر (١٩٨١)، «تاريخ الأدب العربي»، بيروت: دار الكتب العربية.
١٣. عزام؛ محمد (٢٠٠١)، «النص الغائب»، دمشق: اتحاد الكتاب العربي.
١٤. واصل، عصام حفظ الله حسين (٢٠١١م) التناص التراثي في شعر العربي المعاصر، جزائر، دار غيدا للنشر و التوزيع.

مجالات

١. حسن صرصور، عبدالجليل (٢٠٠٩) «التناص فى شعر الفلسطينى المعاصر» مجلة جامعة الازهر بغزة، سلسلة العلوم الانسانية، المجلد ١١، العدد ٢، صص ٢٤١-٣٠٢.
٢. رمانى، ابراهيم (١٩٨٨) «النص الغايب فى الشعر العربى الحديث»، مجلة الوحدة (٤٨).